إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات نوفمبر ٢٠٢٠ م

الحياة الرهبانية

"في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي" (نش١:١). إنها حياة الراهب الذي يطلب من تحبه نفسه. يقوال السيد المسيح أن من أراد أن يتبعني فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني بالتالي ينفصل عن كل شيء تاركاً وراءه كل شيء حتى نفسه. "الذي قال عن أبيه وأمه: لم أرهما، وبإخوته لم يعترف، وأولاده لم يعرف، بل حفظوا كلامك وصانوا عهدك. يعلمون يعقوب أحكامك، وإسرائيل ناموسك. يضعون بخورا في أنفك، ومحرقات على مذبحك. بارك يا رب قوته، وارتض بعمل يديه. احطم متون مقاوميه ومبغضيه حتى لا يقوموا" (تث ٣٣: ٩-١١). حياة الراهب هي عبارة عن بحث يومي عن من تحبه نفسه حتى يجده، وعندما يجده "يمسكه ولا يرخيه" (نش ٣:٤).

الراهب المجتهد ليس لديه وقت ليضيعه. لقد قال أحد الشيوخ في إحدى المرات: "لا تنسَ تلك الكلمات: لقد أعطاك الله وقتاً لكي تبني خلاصك الأبدي فلا تضيعه!" دعونا نساعد بعضنا البعض لكي ننمو روحياً، ونتثقف، وننمي بعضنا البعض في المحبة والوداعة، والتواضع، والطاعة. يقول القديس يوحنا الحبيب: "نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة، لأننا نحب الإخوة (إن كنا نحب بعضنا البعض)" (١يو٣:١٤). دعونا نحب بعضنا البعض بقلب طاهر خالي من الخداع، والخبث، والرياء. دعونا نصلي لأجل بعضنا البعض حتى نصل إلى مسكننا الأبدي "لأن ليس لنا هنا مدينة باقية، لكننا نطلب العتيدة فلنقدم به في كل حين لله ذبيحة التسبيح، أي ثمر شفاه معترفة باسمه" (عب ١٣: ١٤-١٥). دعونا نضع الله أمامنا في كل حين وقبل أي شيء نفعله كما قال داود النبي: "جعلت الرب أمامي في كل حين، لأنه عن يميني فلا أتزعزع" (مز١٦:٨). لو ضعنا الرب أمامنا بحق فإننا لن نزعزع لأنه هو حياتنا، وخلاصنا، ورجاؤنا، وشفاؤنا كلنا. دعونا نضع إنساننا العتيق جانباً مع أعماله الشريرة كما قال الله أن الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا أنا أصنع كل شيء جديداً وأمسح كل دمعة. دعونا نطلب من الله أن يجدد قلوبنا وكل كياننا مصلين لأجل بعضنا البعض. إن كنا قد تركنا العالم بإرادتنا لكي نحيا في عفة، وفقر، وطاعة فلنجاهد إذاً مساعدين بعضنا البعض لكي نحيا ونتمم تلك النذور بكل قدرتنا. "ألستم تعلمون أن الذين يركضون في الميدان جميعهم يركضون، ولكن واحدا يأخذ الجعالة؟

هكذا اركضوا لكي تنالوا. وكل من يجاهد يضبط نفسه في كل شيء. أما أولئك فلكي يأخذوا إكليلاً يفنى، وأما نحن فإكليلاً لا يفنى. إذا، أنا أركض هكذا كأنه ليس عن غير يقين. هكذا أضارب كأني لا أضرب الهواء. بل أقمع جسدي وأستعبده، حتى بعد ما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسي مرفوضاً" (١كو ٩: ٢٤-٢٧). يوصينا القديس بولس الرسول أن نركض حتى ننال إكليلنا السماوي. أيضاً يوصينا القديس بولس ويحث القديس تيموثاوس قائلاً: "وأيضاً إن كان أحد يجاهد، لا يكلل إن لم يجاهد قانونياً" (٢تي ٢:٥). هذه هي قوانيننا. دعونا نتمسك بها وهي:

البتولية:

الجسد العفيف هو أثمن عند الله من ذبيحة طاهرة. الإتضاع مع البتولية يعدان داخل النفس خيمة اجتماع للروح القدس. إنه مكتوب في سفر الحكمة: "إن البتولية مع الفضيلة أجمل؛ فإن معها ذكراً خالداً، لأنها تبقى معلومة عند الله والناس" (حك٤:١).

يقول القديس اسحق السرياني: "ينمو جناحا العقل في رحم البتولية، وبهما يصعد العقل إلأى الحب الإلهي". ينبغي علينا لكي نكتسب بتولية طاهرة أن نحفظ العقل من الطياشة لأن كل خطية تبدأ بفكرة. يعلمنا أيضاً القديس اسحق قائلاً: "نقِ جمال بتوليتك بالدموع، والصوم، وسكون الوحدة". يقول القديس بولس الرسول أن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات. "البتولية هي أن نرتدي طبيعة الكيان غير الجسداني. الشخص البتول هو الذي تخلص من الحب الجسداني بواسطة الحب الإلهي، واستعمل النار السماوية لكي يطفيء نيران الجسد". يعلمنا القديس يوحنا الدرجي قائلاً: "الرجل الذي يجاهد ضد العدو بالعرق وضيقات الجسد يشبه من ربط عدوه في القصب. لو حاربه باعتدال، وسهر، ويقظة يكون كمن وضع عليه أغلالاً. لو حاربه باتضاع، وسكينة، وعطش يكون كمن قتل العدو ودفنه في الرمال. والرمال هي الرمال التي لا تفعل شيئاً لتغذية العواطف وهي ليست سوى الأرض والرماد". يعلمنا القديس يوحنا كاسيان عن سمو العفة قائلاً: "مكافأة العفة سامية والسماوية، فهي تهاجمها كمائن الخصوم التي هي أكثر خطورة. ولذلك فمن مصلحتنا التشبث ليس فقط بالامتناع عن ممارسة الجنس الجسدي ولكن أيضاً، مع الأنات المتكررة والصلوات، بقلب منكسر. وهكذا هو أتون جسدنا، وهو ملك بابل الذي لا يكف عن إشعال إندفاعات الشهوات الجسدية، وهو سوف ينطفئ عندما ينزل ندى الروح القدس في قلوبنا، وما لم يتم وضع أساس من التواضع لا يمكننا التغلب على هذا الهوى". دعونا نصرخ مع القديس بولس قائلين: "ويحي أنا الإنسان الشقي. من ينقذني من جسد هذا الموت" (رو٧:٢٤).

"يجب علينا إذاً أن نتمسك باستمرار بقلب متواضع صبور، وأن نكون منتبهين وحذرين خلال النهار فيما يتعلق بالغضب والمشاعر الأخرى. لأنه حيث يشعل الغضب نار الضجر سوف تتأجج بكل تأكيد. ولكن قبل كل شيء من الضروري الاهتمام بالسهر في الليل. لأنه كما تعد الطهارة واليقظة خلال النهار الطريق لعفة الليل، هكذا يؤمن سهر الليل حالة قوية وآمنة للقلب وليقظة النهار".

بالتالي، دعونا نمجد الله في أجسادنا وأرواحنا التي هي لله. "فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله، عبادتكم العقلية. ولا تشاكلوا هذا الدهر، بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم، لتختبروا ما هي إرادة الله: الصالحة المرضية الكاملة" (رو١٢: ١-٢).

الفقر:

"لكن ما كان لي ربحاً، فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة. بل إني أحسب كل شيء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي، الذي من أجله خسرت كل الأشياء، وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح" (في ٣: ٧-٨). يقول القديس يوحنا الدرجي عن الفقر: "فقر الراهب هو التخلي عن الاهتمام. إنها حياة بدون قلق وسفر خفيف بعيداً عن الحزن بأمانة للوصايا. الراهب الفقير هو سيد العالم. لقد أسلم كل اهتماماته لله، وبإيمانه اقتنى كل الناس كخدام له. فلو اعتاز شيئاً لا يشكو للإخوته ويقبل ما يأتي في طريقه كما من يدي الرب. إنه في فقره يتحول لابن للعزلة ولا يعطي قيمة لما يمتلكه. إذ يعتزل العالم، يعتبر كل شيء رفضاً. إنه لا يكون فقيراً حقاً إذا بدأ في القلق بخصوص أمر ما. الرجل الذي اقتنى الفقر يقدم صلاة نقية. لماذا يصلي الرجال الذين يحبون المقتنيات لصور مادية؟"

يقول القديس موسى الأسود: "محبة القنية تزعج العقل". لقد كُتب عن ربنا أنه لم يكن له أين يسند رأسه. خالق هذا العالم بأسره لم يكن له أين يسند رأسه. الذي الأرض كلها هي موطئ قدميه لم يكن له أين يسند رأسه. "أنه من أجلكم افتقر وهو غني، لكي تستغنوا أنتم بفقره" (٢كو٨:٩). المعنى العميق للفقر هو الانحلا عن الأمور الأرضية والارتباط بالسماوية. "لأننا لم ندخل العالم بشيء، وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء" (١تي ٦:٧).

سؤلت الأم سينكليتيكي إن كان الفقر الاختياري هو أمر جيد دائماً. فأجابت قائلة: "إنه جيد جداً بالنسبة للذين يقدرون. لأن من يحتملونه يعانون في الجسد ولكنهم يتعزون في أرواحهم. مثلما تُغسل الثياب وتُبيض عندما يضربها ويدعكها المرء، هكذا النفس القوية تصبح أقوى بواسطة الفقر الاختياري. بالتالي، قد يقول أحدهم أن الفقر الاختياري هو اثمن كنز لعق الإنسان حيث أنه يكبح خطايا الجسد كما بلجام. أيضاً، ينهزم

العدو بواسطة أولئك الذين يمارسون الفقر لأنه لا يمتلك الوسائل لإيقاع الأذى بهم. هكذا يكون الفقر الاختياري بكل تأكيد الضربة الأقوى ضد العدو، ويكون كنزاً ثميناً للنفس".

اسمعوا يا إخوتي الأحباء: ألم يختشر الله فقراء هذا العالم ليكونوا أغنياء في الإيمان وورثة الملكوت الذي وعد به الذين يحبون؟

"فإني قد تعلمت أن أكون مكتفياً بما أنا فيه. أعرف أن أتضع وأعرف أيضاً أن أستفضل. في كل شيء وفي جميع الأشياء قد تدربت أن أشبع وأن أجوع، وأن أستفضل وأن أنقص. أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني" (في٤: ١١-١٣).

الطاعة:

"أطيعوا مرشديكم واخضعوا، لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم كأنهم سوف يعطون حساباً، لكي يفعلوا ذلك بفرح، لا آنين، لأن هذا غير نافع لكم" (عب ١٣: ١٧). الطاعة هي معلمة التواضع، وبدون الطاعة لن نقتني أبداً التواضع. يقول القديس يوحنا الدرجي: "اذبح كبرياءك بسكين الطاعة". لأنه مكتوب في سفر الأمثال ويل للحكماء في أعين أنفسهم. يعلمنا ابن سيراخ قائلاً: " وإن رأيت عاقلاً فابتكر إليه، ولتطأ قدمك درج بابه" (سي٦: ٣٦). يعني ذلك طلب الإرشاد وعدم الثقة في أنفسنا.

يعلمنا القديس يوحنا الدرجي عن أهمية الطاعة قائلاً: "الطاعة هي تخلي تام عن حياتنا الشخصية، وهي تظهر بوضوح في الطريقة التي نسلك بها. أيضاً، الطاعة هي إماتة الأعضاء بينما يبقى العقل حياً. الطاعة هي حركة بدون جدل، موت مقبول إرادياً، حياة بسيطة، خطر يواجَه بدون قلق، دفاع غير مهيأ أمام الله، شجاعة أمام الموت، سفر آمن، ورحلة نائم. الطاعة هي قبر المشيئة وقيامة التواضع. الجثة لا تعارض أو تناقش ما يبدو جيداً أو رديئاً. والأب الروحي الذي وضع بإصرارا نفس التلميذ للموت سوف يجيب عن كل شيء".

لو حاربك الفكر بأن تحكم على الرئيس أو تدينه، اركض بعيداً كما تهرب من الزنا. لا تعطي ثقة، ولا مكاناً، ولا دخلاً، ولا نقطة انطلاق لتلك الحية. قل لهذه الحية: "اسمعيني أيتها المضللة، ليس لديّ الحق أن أحكم على رئيسي ولكن هو من له السلطان أن يحكم عليّ. أنا لا أحكم عليه، بل هو من يحكم عليّ".

لقد كُتب عن ربنا: " أعطاني السيد الرب لسان المتعلمين لأعرف أن أغيث المعيي بكلمة. يوقظ كل صباح لي أذناً، لأسمع كالمتعلمين. السيد الرب فتح لي أذنا وأنا لم أعاند. إلى الوراء لم أرتد" (إش٥٠: ٤-٥). ألا ينبغي إذاً أن أتشبه بربنا وأطيع؟ دعونا نكون مطيعين مثل اسحق ونقول ها نحن ذا افعل بنا ما تريد حتى لو

إلى الذبح. "ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه. كشاة تساق إلى الذبح، وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه" (أش٥٣:٧). وإذ وجد في الهيئة كإنسان، أخلى ذاته وأطاع حتى إلى الموت، موت الصليب.

في النهاية، دعونا نخرج على آثار الغنم. لقد سار الآباء العظماء نفس هذا الطريق قبلنا: القديس أنطونيوس لبعظيم، والقديس مكاريوس الكبير، والكثيرون غيرهم. نحن أبناؤهم ووارثون لما وصلوا إليه. فلنفتخر بدعوتنا الرهبانية ونحفظها نقية إلى النهاية. لأنه ليس لنا ههنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة. بالتالي، فلنسلك كما يحق للدعوة التي دعينا بها. بكل تواضع، ووداعة، وبطول أناة، محتملين بعضنا بعضاً في المحبة. مجتهدين أن نحفظ وحدانية الروح برباط السلام (أف٤: ١-٣). لأن "من يغلب يرث كل شيء وأكون له إلهاً وهو يكون لي ابناً" (رؤ٢١:٧).

"ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا" (رو٨:٣٧).